

سافرت من بيروت بالسيارة في يوم شديد البرودة من شهر كانون الأول . توقفنا قبل المغرب في نقطة التفتيش البريطانية في رأس الناقورة . وبعد التفتيش انحدرت بنا السيارة نحو قرية الزيب ، وكانت الشمس على وشك الغياب . وتبينت في ضوء الغسق سور عكا ومئذنة جامع الجزار ترتفع فوق المدينة في السماء الرمادية ، ومن ورائها حيفا ، وجبل الكرمل يمتد الى عرض البحر . فتحت نافذة السيارة قليلاً واحسست بالرياح الباردة تلتف وجهي ، وجعلت ارقب امواج البحر المقلقة التي ذكرتني ب أيام الصيف والصيف والسباحة والمرح . رأيت مركباً شراعياً تملأ الرياح شراعيه ويشق العباب تاركاً وراءه رذاضاً أبيض طويلاً ، في طريقه من صيدا او طرابلس الى عكا .

كانت الطريق خالية ، الا من باص او باصين من باصات شركة « ايجد » اليهودية يسرعان في طريقهما الى نهاريا ، المستعمرة اليهودية الوحيدة في الجليل الغربي . قبل هبوط الظلام ، وعندما بدأت الاضواء تتلاألأ في بيروت دخلنا شارع عكا الرئيسي . في قهوة حبيبو لم يكن هناك الا بضعة اشخاص يلعبون الطاولة ، وفي مدخل سينما الاهلي لم ار احداً ، ربما لأن موعد الفيلم لم يحن بعد او لأن الطقس كان بارداً .

في البيت كان جدي قد أوى الى فراشه ، فجلست مع جدي وخالاتي والأخت ، وكانتا جزعين حزينين لفراقي . وتناولت عشاء خفيفاً من اللبن والجبنة والزيتون - كعادتي منذ الصغر في عكا . وبعد العشاء - وكانت الساعة قد قاربت السابعة - ارتديت معطفي وخرجت للقاء كامل واكرم في بيتهما بالقرب من المقهي .

كانا بانتظاري خلف الباب ، ليفاجئاني باستعداداتهما العسكرية ، فقد ارتدى كل منهما خوذة عسكرية ، مثل التي كان يستعملها الجنود البريطانيون ، وامسك بندقية صيد قديمة .

وقال كامل بعد ان جلسنا :

- هل سمعت بالحادثة .

- اية حادثة .

واخبرني عن مهاجمة اهل عكا لقاولة يهودية كانت في طريقها من حيفا الى نهاريا .

اقام عدد من الشباب المسلمين كميناً عند مفترق شارع بيروت - صفر وانتظروا حتى وصلت ، وكانت مؤلفة من خمس مصفحات وبضع شاحنات وانهالوا عليها بالرصاص . كان هدفهم تعطيل السيارة الاولى التي كانت تتقدم لقاولة ثم مهاجمة باقي السيارات التي تكون قد اضطررت عندها الى الوقوف .